الثقافة والهوية الثقافية وإشكالياتها في ظل العولمة

أ. الطاهر الواعر علي

مقدمـــة

حظيت الثقافة في العقود الأخيرة باهتمام الباحثين والمفكرين حول طبيعتها، ووظيفتها وأدواتها، وتحديد دورها في بناء الحياة المعاصرة والمقبلة.

إن ما تتميز به الثقافة من القضايا الفكرية والاجتماعية لا يلق بظلاله على الحاضر فحسب، بل يتعداه إلى صور المستقبل في علاقات الإنسان بأخيه الإنسان، فهي التي تصوغ هوية وملامح وتماسك المجتمع.

كملةيت قضية الهوية في الفكر الإنساني عموماً جدلاً كبيراً ونالت اهتمام العديد من الحقول الفكرية من علم اجتماع المعرفة إلى التاريخ إضافة إلى ذلك دوائر العلوم الإنسانية من آداب ولغويات.

إن الهوية يُعاد صياغتها في ظل العولمة نحو مزيد من التنميط وبالطريقة التي يريدها منظروا العولمة بهدف العمل على طمس الهويات الثقافية لبلدان العالم النامي ،وفرض الهوية الغربية والأمريكية في التفكير والوجدان والسلوك للدول الأخرى ،وحملها على التخلي عن هوياتها الثقافية وتبني النموذج الغربي الأمريكي في كل مكان بكل أشكاله وجوانبه.

تحديد موضوع الدراسة:

تتنـاول هذه الدراسة تحديد مفهوم الثقافة وغيرها من المفاهيم ذات العلاقة مثل مفهوم الهوية الثقافية ومكوناتها.

أهمية الدراسة ومبرراتها :

تكمنأهمية الدراسة إلى قول فصل في تعريف الثقافة نظراً لتباين

مدلوله لدى الباحثين وعلماء الاجتماع والمفكرين بسبب اختلاف التعاريف الموضوعة له وحداثة عهده.

- معرفة مفهوم الهوية نظراً لما يثيره من إشكاليات عديدة سواء على مستوى الوطن أو على مستوى العلاقات بين الدول.
- تكمن مبررات الدراسة في أنها محاولة لسد النقص الواضح في الدراسة الخاصة بهذا الموضوع.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحديد مفهوم الثقافة، وفهم مفهوم الهوية الثقافية ومناقشة ما تتعرض له الهويات الثقافية من طمس وتهديد بسبب التمسك بمنطق التعالي الثقافي في ظل الهيمنة الكاملة لوسائل الاتصال والمعلوماتية الغربية.

وعلى ذلك فإن هذه الدراسة ستتعرض إلى:

1- تحديد مفهوم الثقافة.

2- مفهوم الهوية الثقافية وإشكالياته.

3- مدى تأثير العولمة في الثقافة والهوية الثقافية في المجتمع العربي الإسلامي.

أولاً - الثقافة Culture

يُعد مصطلح الثقافة من أهم المصطلحات وأكثرها تداولاً في عصرنا الحاضر، وأبرز ما يميزه هو تباين مدلوله لدى الباحثين وعلماء الاجتماع والمفكرين، بسبب اختلاف التعريفات الموضوعة له وحداثة عهده من جهة أخرى، ولم يصل هؤلاء إلى قول فصل في تعريف الثقافة، حيث لا تزال مسألة الثقافة محل اهتمامهم، كما لا يزال الجدل مستمراً حول طبيعة الثقافة وحقيقتها والفرق بينهما وبين الحضارة، وهل تقتصر على الجانب المعرفي أم تتعداه إلى سائر جوانب الحياة الإنسانية؟.

إن مصطلح الثقافة كان وما يزال من أكثر المصطلحات استحواذاً على الاهتمام وتباينت وتعددت تعريفاته تبعاً للخلفيات الأيدلوجية

والانتماءات المعرفية للمهتمين به حيث وصلت "160"تعريفاً حسب رأي علماء الانثروبولوجية "الفرد كروبر وكلاكهون"[1].

أصبحتالثقافة علماً قائماً بذاته تساهم فيه فروع علمية مختلفة وعلى رأسها علم اجتماع المعرفة وعلم الانثروبولوجيا الرمزية.

يدور معنى الثقافة في كتب اللغة حول : الحذق، الفطنة، سرعة التعلم الظفر الإدراك، التقويم أي تقديم المعوج وتسويته[2].

وقد عرفها المعجم الوسيط بأنها" العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها ونص على أنها "محدثة"، وبالرجوع إلى معاجم اللغة يتضح لنا أن مادة (ث ق ف) تدل على الحذق والفطنة أو التعديل والتقويم، يقال ثقف الرجل أي صار صادقاً فطناً فهما[3].

ومن معنى التأديب والتهذيب ومعنى الحذق والفطانة، أخذ المحدثون كلمة "الثقافة" وما اشتق منها، وتحدث من تحدث عن أزمة المثقفين وعن التراث الثقافي، وعن الغزو الثقافي أو الاستعمار الثقافي[4].

وورد تعريفها في القاموس المحيط:ثقف ككرم وفرح، ثقفاً وثقافة: صار صادقاً خفيفاً ... وثقفه كسمعه: صادقه أو أخذه أو ظفر به أو أدركه ... أثقفته أي قيض لي، وثقفه تثقيفاً: سوّاه. وفي مختار الصحاح للرازي: ثقف الرجل من باب ظرف صار صادقاً خفيفاً ... وثقف من باب طرب لغة فيه.والثقافة ما تسوّي به الرماح، وتثقيفها تسويتها، وثقفه من باب فهم صادقه[5].

وقد اختلف علماء الاجتماع والمفكرون في تحديد مفهوم الثقافة، فهناك من يقصر الثقافة على الجانب المعرفي في الحياة، وهناك من يوسع مفهوم الثقافة بحيث لا تقتصر على الجانب المعرفي والفكري، بل تشمل الجانب الوجداني الذي يعني به الفن، والجانب الروحي الذي يعني به الدين، والجانب العملي أو السلوكي الذي تعني به الأديان والأخلاق، بل تشمل الجانب المادي

أيضاً من الحياة.

فالثقافة : أفكار ومعارف وإدراكات ممزوجة بقيم وعقائديات ووجدانيات تعبر عنها أخلاق وعبادات وآداب وسلوكيات، كما تعبر عنها علوم وآداب وفنون متنوعات وماديات ومعنويات،أو كما يقول عالم الانثروبولوجيا "تايلور" بأنها: ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات أو أي قدرات أخرى أو أي عادات يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في المجتمع(6).

أو بمعناها الواسع: هي الاكتساب المعرفي والثراء الفكري ... أي أن الإنسان المتثقف هو الإنسان الواسع الإطلاع والمعارف، القادر على استخدام العقل و الاكتشاف والإبداع، ومن هذا المنظور فإن الثقافة ليست قوالب معرفية جاهزة بقدر ما هي تهيئ وقدرة على الفهم والإدراك(7).

والثقافة بوصفها انتماء تعبير عن التراث والهوية وطابع الحياة اليومية للجماعة الثقافية، ونظراً لاتساع وشمولية مفهوم الثقافة مما أدى إلى تعدد وتنوع تعريفاتها التي منها (محي الدين صابر) الذي يرى أن " الثقافة تعني مجموعة النشاط الفكري والفني في معناها الواسع وما يتصل بهما من مهارات، أو يعين عليها من وسائل، فهي موصولة بمجمل أوجه الأنشطة الاجتماعية الأخرى،مؤثرة فيها، متأثرة فيها، متأثرة بها ، معينة عليها ،مستعينة بها لتحقق بذلك المضمون الواسع لها، متمثلا في تقدم شامل للمجتمع في كل جوانب سعيه الحضاري أخذاً وعطاءً في تفاعل خصب وعطاء متجدد(8).

أما محمد عماره فقد عرف الثقافة بأنها "كل ما يسهم في عمران النفس وتهذيبها...فالتثقيف من معانيه التهذيب...وإذا كانت المدنية هي تهذيب الواقع بالأشياء ، فان الثقافة هي تهذيب النفس الإنسانية بالأفكار، وكلاهما عمران...عمران للواقع وعمران للنفس" (9).

وقد ورد حاتم بن نعمان وصفاً جامعاً مانعاً للثقافة العربية معرفاً إياها

بأنها: مناط الشخصية العربية، ومستودع قيمها ووعاء حكمتها، وحقيقة هويتها الحضارية، وأسهب في الحديث عن خصائصها ومزاياها فاصطفى منه تلخيصاً معناه: أنها ثقافة إنسانية أصيلة، شاملة لمظاهر المادة والروح، ذات عراقة تاريخية، تتميز بقيم فكرية عالية وقيم الحق والعدل والمساواة، واحترام المعرفة، ثقافة تتمثل الثقافات الأخرى دون إذابة أو ذوبان، تنفرد بجهاز أقوى ليس له مثيل في الرقة والمرونة[10].

إن كلمة الثقافة تشتمل على كثير من المعاني،وتستخدم في سياقات متعددة،فهناك الثقافة الدينية، والثقافة الجمالية،والثقافة الغذائية، ثقافة الأزياء..الخ، ويرى البعض " أن تعددية معنى كلمة الثقافة هي بالذات سبب نجاحها"[11].

يأتي مفهوم الثقافة في بعض الكتابات والدراسات والأبحاث متساوياً مع مصطلح الحضارة فإذا كانت الثقافة، نتاج وعطاء ومشاركة في تزيين الحياة

وتذوق جمالها وتيسير فهمها بالفكر والأدب والفن، فإن الحضارة: اكتساباً وآخذاً وتأثراً بما حول الإنسان انفعالاً بالمحيط والبيئة، ومن هنا اكتسبت عاداته وتقاليده وأساليب حياته ... أن الثقافة وليست الحضارة هي التي تبني هوية الأمة وشخصيتها، وتدل عليها وتميزها عن غيرها[12].

وفي ضوء الربط بين الثقافة والحضارة يذهب مالك بن نبي للقول بأن: الثقافة تصبح نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة، وبهذا الربط أيضاً يقاس الفرق بين الثقافة والعلم[13].

إن لكل مجتمع بشري ثقافته، ولكل أمة ثقافتها التي تمثل شخصيتها، ولها من الشمول ما يحيط بكل علم، ويتدخل في كل مجالات الحياة من آداب وفنون والأنظمة الخاصة منها والعامة، لذا أولت كل أمة عنايتها الفائقة بثقافتها وأحاطتها بالاهتمام كي تحافظ على كيانها وتحميها من الذوبان، حيث أنها السياج الذي يحفظ كينونة الشعوب ويؤكد تميزها، فالثقافة نتاج لما يبدعه أفراد المجتمع في مجالات الحياة كافة، كما أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتخاطب

والتواصل ، بل أداة لنقل الثقافة، احتضنت الفكر والإبداع والعلوم والآداب فصانتها من حملات التخريب وحفظتها تراثاً حياً يتداوله أبناء الأمة.

هذه المجالات التي تعد عناصر لابد منها للبيئة الثقافية من أدب وفن وقيم ومعتقدات وعادات وتقاليد ولغة وقوانين، وهي صورة لبنية المفهوم العام للثقافة بحيث يتم تحديد وتوضيح مصطلح الثقافة.

إن ما تمتاز به الثقافة العربية الإسلامية، من مرجعية دينية تعتمد على الحقائق اليقينية وتسمو بالإنسان إلى عالم المحبة والرحمة والخير والجمال جعلها كل ذلك ضرورة إنسانية بل مبرراً لسيادتها مما جعلها الهدف الأول لكل القوى المعادية للهيمنة.

إذن يتضح لنا أن مفهوم الثقافة يعني هوية المجتمع الخاصة التي تميزه عن غيره من المجتمعات، وهي أفكار وأعمال يخترعها العقل البشري وينفذها بأعضائه ويعتبرها من الأدوات التي يصنعها لسد حاجاته الأولية والثانوية.

ثانياً ـ مفهوم الهوية الثقافية وإشكالياته:

يعد مفهوم الهوية من بين المفاهيم التي نالت اهتمام علماء الاجتماع نظراً لما يثيره من إشكاليات عديدة سواء على المستوى الوطني أو على مستوى العلاقات بين الدول، ويثير الحديث عن الهوية العديد من التساؤلات مثل:

ما هي الهوية؟ وكيف تتكون؟ وما علاقتها بالأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية الوطنية والعالمية؟.

عُرفت الهوية على أنها:"مجموع الصفات الخاصة التي تخص فرداً أو جماعة وتميزها عن غيرها من الأفراد والجماعات[14].

والهوية الثقافية عند البعض:" هي وجه الثقافة الموحد والمميز الذي يشعر بأنه ينتمي إلى ثقافة معينة، ويجعل الأفراد يشعرون بالتماثل والتقارب والانتماء إلى تراث واحد، إذ الثقافة محيط يفرض على أصحابه إجابات تكون في شكل سلوك يتجاوز بها الطبيعة والعوائق والحواجز[15].

المقصود بالهوية الثقافية هو" المميزات التي تميز وتخص حياة مجتمع بعينه وترتبط بالماضي والمستقبل، وهوية المجتمع ليست استاتيكية ثابتة وليست ديناميكية بالمعنى العام، بل هي تتطور وتتغير بتطور حياة المجتمع، حيث يحافظ المجتمع على خصوصيته التي تكون دائما مبعثاً للفخر والاعتزاز بالانتماء" (16).

الهوية بضم الهاء من هو فلان؟ أو هي مجموعة الخصائص والمميزات التي ينفرد بها فرد أو شعب أو أمة والتي تتوارث عن ماضٍ ذي تاريخ وتراث وبما في التراث من لغة ودين، وما للأمة من انتصارات وانعكاسات وطموحات وانتماءات وخصائص تجعل من ينتمي إليها ذا ذاتية متميزة عن غيره، فيصبح ويبقى هو ذاته، ونفسه ويكون بهذا قد أعطى عن سؤال من هو (17).

نستنتج من هذا التعريف أن هوية الفرد في عقيدته وجنسه وأرضه ولغته وثقافته وحضارته وتاريخه والروح المعنوية والجوهر الأصيل للكيان الوطني والمصالح المشتركة.

والهوية الثقافية يمكن أن توصف بأنها: النواة الحية للشخصية الفردية والجماعية، والعامل الذي يحدد السلوك ونوع القرارات والأفعال الأصلية للفرد والجماعة، والعنصر المحرك الذي يسمح للأمة متابعة التطور والإبداع مع الاحتفاظ بمكوناتها الثقافية الخاصة، ومميزاتها الجماعية التي تحددت بفعل التاريخ الطويل واللغة القومية والسيكولوجية المشتركة وطموحات الغد(18).

وفي إطار الإقرار بأن شكل الهوية ما هو إلا عملية مستمرة يعرف (الجابري) الهوية الثقافية بأنها: كيان يصير ويتطور إما في اتجاه الانكماش، وإما في اتجاه الانتشار، فالهوية تغتني بتجارب أهلها ومعاناتهم وانتصاراتهم ثقافاتهم، وأيضاً باحتكاكها سلباً وإيجاباً مع الهويات الثقافية الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما، إن الهوية الثقافية هي ثمرة للتفاعل الذي يسمح بنمو ثقافة قادرة على تقديم الحلول العملية عن المشاكل المطروحة، وأن هذا التفاعل

هو الذي يبنى الهوية بما يوفره من إمكانيات جديدة للتقدم الروحي والمادي لأعضاء الجماعة "فالهوية الثقافية لا تكون معطاة منذ البدء ولا مكرسة في نظرية مجردة، إنما هي عملية الاندماج الثقافي المستمر للجماعة الذي تجعل منها مجتمعا جديداً، وينتج بالضرورة هوية مشتركة جديدة تقاليد ثقافية وقيماً اجتماعية[19].

إن لكل إنسان هويته حتى يظل هو ما هو طوال حياته، مهما تغيرت أحداث حياته وتطوراتها، وما يقال عن الإنسان الواحد يقال عن الأمم والشعوب "فالأمة المعينة أو الشعب المعين لم يكن ليصبح ذا تاريخ إلا إذا ظل الشعب على ثبات هويته، أو ظلت الأمة المعينة على ذلك الثبات برغم تكاثر الأحداث وتقلبات العصور[20].

وتثور الإشكاليات على المستوى الوطني عند اختلاف الجماعة السياسية الواحدة في تعريفها لهويتها ومكوناتها الخاصة في حالة عدم القدرة على الحوار السياسي والاجتماعي والوصول إلى توافق وطني حول رؤية محددة.

كما أنه في حالة تبني نظام سياسي ما لهوية تميل إلى الاستعباد وإقصاء جماعة معينة يترتب عليه حرمان هذه الجماعة من حقوقها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

أما على صعيد العلاقات بين الدول والحضارات فإن تبني هوية استعلائية تؤدي إلى العديد من المشاكل الداخلية والخارجية، نتيجة حتمية التناقض في القيم والثقافات والمصالح مع الآخرين.

وتشير دراستي الجابري [21]، وبلقزيز[22] إلى أن هناك علاقة بين العولمة والهوية الثقافية ومدى تأثير العولمة على الهوية الثقافية للمجتمعات والشعوب وذلك لما تتعرض له أغلب الثقافات من طمس وتهديد للهوية الثقافية، بسبب سيادة منطق الهيمنة وانعكاسات العولمة الاقتصادية على الجوانب الثقافية في ظل الإمكانات الهائلة لتقنية الاتصالات ونقل وتلقى المعلومات، وفي ظل

الهيمنة الكاملة والشاملة لوسائل الإعلام الرأسمالية.

ويرى بعض الباحثين أن العولمة: سوف تؤدي إلى مزيد من التجانس بين المجتمعات وداخلها بفعل الثورة الاتصالية الهائلة وعبور السلع والأفراد وفتح الأسواق وغيرها[23].

وبالطبع فإن التطور التكنولوجي الهائل وانتشار وسال الاتصال والمعلومات هي أساس هذه التحولات، فمن خلالها يتم "عبور المعلومات والأفكار والقيم وغيرها من السلع الثقافية للحدود والمسافات بما يجمع شتات البشر في كل مكان، بغض النظر عن الاختلافات في التعليم والجغرافيا واللغة والدين وغيره، مما يؤدي إلى تآكل الاختلافات والتمايزات[24].

وفي عصر العولمة التي تجتاح الثقافات مستعينة بالتقنية الحديثة حيث يحاول مروجو العولمة العمل على إيجاد ثقافة عالمية واحدة وهي النموذج الغربي الأمريكي على شعوب الأرض، إنها ثقافة الاختراق التي تستهين بكثير من القيم المجتمعية دون الاعتبار للعادات والتقاليد ولا اللغة والدين" لقد سيطرت التكنولوجيا الفائقة على الثقافة والحضارة وما نتج عنها من الانحلال الخلقي والتفكك الأسري ، والعنف، والجريمة، والإدمان، والتهرب من المسؤولية؛بل والهروب من الحياة ذاتها بالانتحار[25].

إن العولمة الثقافية تسعى لصياغة ثقافة كونية عالمية لها قيمها ومعاييرها وتحقق التجانس بين الثقافات إذابة وطمس الفوارق والاختلافات بين الثقافات وخلق ثقافة كونية واحدة، وبالمقابل ستؤدي إلى ضعف الشعور بالهوية الثقافية الوطنية لتحل محلها ثقافة عالمية.

وثمة تناقض على ما يبدو بين العولمة والهوية من خلال فرض هيمنة أمريكية على كل الهويات والأنظمة الأخرى، ومحاولة مسخ الأمم والشعوب من عاداتها وتقاليدها وعقائدها وذاكرتها الأدبية والتاريخية، وإحلال العادات والتقاليد والقيم الرأسمالية الأمريكية محلها، فالمسألة تتعدى حماس الشباب والمراهقين للتقاليد سواء كان في اللباس الأمريكي "الجينز" أو سماع موسيقى

"الروك الأمريكية"، أو الإقبال على مطاعم الماكدونالدز، وذلك نتيجة لما تنقله وسائل الاتصال والتقنية الحديثة من شبكة المعلومات العالمية "الانترنت"إلى القنوات الفضائية وغيرها من ثقافات في شكل أنماط هابطة وإعلانات زائفة للموضة، وأفلام مليئة بالعنف والجنس، وتعمل هذه الوسائل على تسويق وترويج هذه الثقافة التي تدعو للتفسخ والانحلال، والتحلل من القيم الدينية والخلقية بهدف تدمير البناء الثقافي والحضاري للمجتمعات وبالأخص المجتمع العربي الإسلامي.

وعليه فقد ظهرت الصيحات العالمية تنادي بالتشبث بالهوية ورفض العولمة، وفي هذا الشأن عبرت دول متقدمة داخل المنظومة الحضارية الغربية نفسها مثل فرنسا وكندا عن التوجس الشديد من المخاطر الناجمة عن الهيمنة الأمريكية على الإعلام والثقافة تحت ستار العولمة" إذ أن وسائل الإعلام الأمريكية تسيطر على 65% من مجمل المواد والمنتجات الإعلامية والإعلانية والثقافية والترفيهية، وتشعر فرنسا الدولة الكبرى أنها مهددة ثقافياً بمواجهة غزو ثقافة انجلوساكسونية تتحرك تحت غطاء الليبرالية الاقتصادية، وبالتالي تقاوم فرنسا سيطرة اللغة الانجليزية على شبكة الانترنت ، وذلك لان 95% من حجم تداول المعلومات والاتصالات على الانترنت باللغة الانجليزية، في حين أن 2% فقط باللغة الفرنسية"[26] ، وفي هذا الشأن عارض الرئيس الفرنسي السابق "جاك شيراك" قيام مطعم الماكدونالدز الذي يقدم الوجبات الأمريكية حتى يتم الإبقاء على نمط العيش الفرنسي.

ثالثاً- مدى تأثير العولمة في الثقافة والهوية الثقافية في المجتمع العربي الإسلامي.

يعد التأثير الثقافي للعولمة من اشد أبعاد هذه الظاهرة خطرا وأبعدها أثرا حيث يقوم على فرض امة على ثقافات سائر الأمم بواسطة استثمار مكتسبات العلوم الثقافية في ميدان الاتصال وشبكة المعلومات العالمية "الانترنت"

وغيرها، وأجهزة الإعلام والتي تجعل من الصعب التصدي لهذه الثقافات التي تمثل خرقا لقيم وعادات المجتمع العربي والإسلامي.

لقد فقدت الدول في ظل العولمة الثقافية قدرتها على التحكم في تدفق الأفكار والقيم والصناعات فيما بين المجتمعات، كما فقدت سيطرتها على التداول الحر على المعلومات والأخبار والتي تتم عبر وسائل وتقنيات جديدة برزت أخيرا حيث أصبح الملايين من البشر موحدين تلفزيونيا وهاتفيا من خلال البريد الالكتروني وشبكات الانترنت ، وفي عصر العولمة التي تجتاح الثقافات مستعينة بالتقنية الحديثة حيث يحاول مروجو العولمة العمل على إيجاد ثقافة كونية واحدة تنصهر فيها كل الثقافات.

العولمة في بعدها الثقافي تعني صياغة ثقافة كونية عالمية واحدة،وهي النموذج الغربي الأمريكي على شعوب العالم ، إنها ثقافة الاختراق التي تستهين بكثير من القيم المجتمعية دون الاعتبار للعادات والتقاليد ولا اللغة والدين." لقد سيطرت التكنولوجية الفائقة على الثقافة والحضارة وما نتج عنها من موجات من الانحلال الخلقي والتفكك الأسري والعنف والجريمة والإدمان والتهرب من المسؤولية والهروب من الحياة ذاتها بالانتحار.[27]

إن الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية وشركاتها العملاقة تبني سياساتها وفق مصالحها، وبالتالي فان وسائل إعلامها وسيلة لتحقيق تلك المصالح، كما أنها لا تلتزم بالصدق والموضوعية ولا الوازع الأخلاقي وتلجأ إلى مختلف الأساليب المرفوضة أخلاقيا لتسئ إلى دول أخرى لتنفيذ أغراضها بغض النظر عن الأضرار التي تمس بالدول المستهدفة والشعوب التي يوجه إليها ذلك الإعلام.

وفي هذا السياق يرى ناصر الدين الاسدي: " ان العولمة الثقافية امتداد للعولمة الاقتصادية وتوسع لها ولا تكاد تختلف عنها إلا في طبيعة ميادينها،فبدلا من الميدان الاقتصادي نجدها تشمل الميادين الفكرية واللغوية والفنية، ثم هي سوى ذلك تتفق مع العولمة الاقتصادية في التفرد والسيطرة ،فهي تعني تعميم

ثقافة واحدة وسيادتها وهيمنتها على غيرها من الثقافات ومحاولة إحلال هذه الثقافة الواحدة محل الثقافات الأخرى ونشر مضمون تلك الثقافة ومحتواها [28].

وبالرغم من كل ما قيل فقد اختلفت المواقف والروئ حول البعد الثقافي للعولمة، وهناك من يرى أن العولمة ستؤدى إلى المزيد من التجانس بين المجتمعات الأخرى ، وزيادة الوعي بالقضايا الإنسانية والتفاعل معها، بمعنى تكوين ثقافة عالمية واحدة تنصهر فيها كل الثقافات ، بينما يذهب الجابري إلى " أنه ليس هناك ثقافة عالمية واحدة، وليس من المحتمل أن توجد في يوم من الأيام،وإنما وجدت وستوجد ثقافات متعددة متنوعة تعمل كل منها بصورة تلقائية، أو بتدخل إرادي من أهلها على الحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة من هذه الثقافات ما يميل إلى الانغلاق والانكماش، ومنها ما يسعى إلى الانتشار والتوسع ، ومنها ما ينعزل حينا وينتشر حينا أخر [29]".

ومن اخطر التحديات الثقافية كما يذهب (إسماعيل الحاج) : للقول التي تلغي الحواجز الجغرافية والسياسية ، إنما تنقله هذه الأجهزة من مناطق الإرسال إلى المتلقي في البلدان النامية – وان كان قليلا- يمثل ثقافة رخيصة في شكل أنماط هابطة ، وأفلام محشوة بالعنف والجنس، وإعلانات زائفة للموضة، وتعمل هذه الأجهزة على تسويق وترويج هذه الثقافة الهابطة التي تدعو للتفسخ والانحلال والى العنف والتحلل من القيم وإغراق المجتمع في رغبات وشهوات مادية لا تقترن بأية قيم روحية تحصنه[30].

إن الدول الغربية تسعى بكل وسائلها الممكنة لنشر ثقافتها الاستهلاكية بين شعوب الدول النامية وبالأخص الدول العربية،لطمس وتغييب الثقافة الوطنية لها وتحقيق مصالحها في هذه المناطق ، ولعل ما شاهدناه ولا زلنا نشاهده الآن على الشاشات المرئية وعبر القنوات الفضائية من الدعاية الغربية والإعلام، لا يمكننا تجاهله لما لهذه الدعايات والإعلانات التجارية الغربية من مخاطر على الثقافة العربية وعلى طريقة تفكير المواطن العربي ، ما وراءها حتما إبعاد المواطن العربي عما يدور في أذهان الغرب من محاولة تمزيق

الأمــة العربيــة والهيمنــة عليهــا ،وزرع الــروح الاتكاليــة والشخصــية الاستهلاكية،وطمس القيم والمبادئ الدينية التي تشكل منها شخصيتها كشعوب وأمم،ومحاولة تغييب المواطن العربي عن ساحات العمل والتقدم من خلال تقديم كل ما يحتاج إليه من مأكل وملبس وفكر جاهز.

ولما كانت لكل ثقافة مرتكزاتها الخاصة التي تبنى عليها حركتها وتوجهها فان للثقافة العربية مرجعيتها الدينية التي تعتمد على الحقائق اليقينية الهادئة وتسير على هذا المنهج الإلهي المتناغم مع فطرة الإنسان والذي شكل عناصرها ونسيجها في الأخلاق والمحبة والرحمة والجمال والقيم والتنشئة والقوانين والعادات وأنشطة الحياة المختلفة.

إن أي تغير فيها يرمي إلى تهميشها وتفكيك وحدتها الثقافية، وتشويه مقاصدها وأهدافها ،وطمس معتقداتها الإسلامية والإساءة إليها ، وجعلها تأخذ بالنموذج الأخر وتكرس الفكر الغربي، وتبرر ممارساته، وتنشر أخلاقه وقيمه الضارة داخل الأمة العربية، حتى وان مست خصوصيات مجتمعاتنا وأسلوب حياتها،الأمر الذي يجعل الثقافة العربية وغيرها من الثقافات الأخرى التي تخشى على بنيتها من التصدع والاندثار أن تدافع عن كيانها وتحافظ على وجــودها.

لقد شكل انتشار الفضائيات الإذاعية والتلفزيونية تحديا ثقافيا وحضاريا للأمة العربية، مما يقع على عاتق الإعلام العربي مسؤولية كبرى تتطلب امتلاك التقنية الحديثة ونشر الوعي لدى الإنسان العربي وتعريفه بأهم قضايا العالم العربي والإسلامي ، والقضايا الدولية ، وبما يعزز انتماءه للأمة العربية والإسلامية وصقله بتراثها وثقافتها وقيمها ويحافظ على الهوية الثقافية العربية وذلك بتوسيع التعاون بين أجهزة الإعلام العربية وتفعيلها ، وتوظيف الإمكانات اللازمة لتحصين المواطن العربي إزاء الأفكار والقيم والسلوكيات الوافدة عبر الفضائيات العالمية البعيدة عن القيم والمعتقدات العربية الإسلامية، حتى يستطيع المواطن العربي التسلح بالوعي والانتماء إلى اختياراته السياسية

والاجتماعية والاقتصادية من دون أن تنهار قناعاته أمام الرسائل الإعلامية التي تنهال عليه من شبكات البث الفضائي والانترنت والصحف والمجلات والإذاعات عبر تدفق المعلومات والأخبار والمناقشات وعرض الآراء المختلفة.

نتائج الدراسة

من خلال ما تقدم في هذه الدراسة تم التوصل إلى النتائج التالية:

1- وجود علاقة بين الثقافة والهوية، فالثقافة هي التي تشكل الهوية وهي التي تجعل جماعة ما مختلفة عن الجماعات الأخرى.

2- ان العولمة الثقافية تجسد الغزو الثقافي الذي يستهدف هوية الأمة وثقافتها وتسعى إلى :

أ- صياغة ثقافة كونية وفرض حضارة واحدة متجانسة لطمس الثقافات المحلية ومحو وتفتيت الخصوصيات الثقافية للشعوب، مما يؤدى إلى إثارة ردود فعل الرفض وتغذية المشاعر القومية ، وكراهية الأخر.

ب- العمل على زعزعة البناء الثقافي والنفسي للشخصية العربية وفقدها الثقة بهويتها وتاريخها وتأكيد قيم التبعية والهيمنة الغربية عليها.

ج- القضاء على القيم الأخلاقية الإنسانية العربية الأصيلة، ونشر ألأفكار والقيم المشوهة التي لا تتمشى مع القيم العربية والإسلامية، وذلك من خلال الصور المبثوثة عبر القنوات الفضائية والانترنت.

2- القنوات الفضائية العالمية هدفها الربح وإنتاج برامجها يعتمد في اغلبه على حصيلة الإعلانات، وتسهم في فساد الذوق والأخلاق ولا تتمشى مع قيمنا العربية والإسلامية الأصيلة.

الخاتمة:

إن لكل مجتمع حضارة وثقافة، ولكل أمة أو شعب الحق في ممارسة ثقافته والتمسك بها بل وتناقلها عبر الأجيال، وتقبل الثقافات الأخرى والاعتراف بها واحترامها ، ولما كانت لكل ثقافة مرتكزاتها الخاصة التي تبنى عليها حركتها وتوجهها ، فان للثقافة العربية مرجعيتها الدينية التي تعتمد على الحقائق اليقينية الهادئة وتسير على هذا المنهج الإلهي المتناغم مع فطرة الإنسان الذي شكل عناصرها في الأخلاق والمحبة والجمال والقيم والتنشئة والقوانين والعادات وأنشطة الحياة المختلفة .

إن الثقافة العربية في جوهرها مغايرة لثقافة الغرب، تصل بين الدين والدنيا وتجعل الضمير الإنساني ضميراً اجتماعياً تصوغه قيم الجماعة، تتصف بالتسامح وتتكامل مع الثقافات الأخرى ،ومن مميزاتها قدرتها على التعايش مع ثقافات الشعوب وتراثها ولغتها، ونحن أمة لنا رسالتنا المميزة التي كنا بها أمة وسطا ، والتي عبرت عنها ثقافتنا الأصيلة المنفتحة على غيرها ولكنها ترفض أن تذوب في غيرها، وأن تضيع شخصيتها وتفقد مقوماتها وخصائصها الدينية فهذا هو شعارنا الذي يجب أن نتمسك به في التعامل مع الثقافات المختلفة وهو" تماسك بلا انغلاق، وانفتاح بلا ذوبان[31] ".

لقد أصبح واضحاً أن العالم اليوم بدأ يتوجس من ظاهرة العولمة لأنه يخشى على هويته الثقافية وموروثاته ونمو حياته من الانغماس والاندثار، وما تتعرض له أغلب الثقافات من تهديد وطمس كان بسبب سيادة منطق الهيمنة وانعكاسات العولمة الاقتصادية على الجوانب الثقافية في ظل الهيمنة الكاملة لوسائل الاتصال والمعلوماتية الغربية، وإن ما تتعرض له الهوية الثقافية بسبب التمسك بمنطق التعالي الثقافي، وهو السبب في تنامي مشاعر العداء والتطرف وترسيخ ثقافات المواجهة والصراع بين الأمم والشعوب.

انه من الواجب على الأمة العربية التمسك بثقافتها وأصالتها وبالقيم، مع الاستفادة من تجارب الآخرين، والتماس الحكمة والمنفعة ، فالثقافات تتحاور

وتتلاقح مع بعضها البعض أخذاً وعطاءً، والعمل على أحياء الهوية الثقافية العربية وتحصينها وتجديد آلياتها بما ينميها ويطورها وبما يمكنها من التطور والتقدم باستمرار نحو المعرفة المتقدمة ،والتعريف بالتراث الثقافي العربي والحوار مع الحضارات التي تمتلك القيم الإنسانية في سبيل تحقيق ثقافة عالمية مبنية على التسامح وتؤصل لحرية الرأي الأخر بعيدة عن التعصب وسيادة عقلية القوة والتعالي ونفي وإقصاء الآخرين.

ومن الله التوفيق

الهوامش :

1- مولود الطبيب،العولمة والتماسك المجتمعي في الوطن العربي،(رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة بغداد، 2001م، ص38
2- جمعه الأحول، الثقافة العربية الإفريقية في ظل العولمة،ندوة الثقافة العربية الإفريقية، مركز الدراسات، طرابلس- سبها،2004م ،ص6.
3- يوسف القرضاوي، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، دار الشرق، القاهرة، 2000م، ص13.
4- يوسف القرضاوي، المرجع السابق،ص 13.
5- عمر الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، 1998م، ص23.
6- يوسف القرضاوي، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، مرجع سابق، ص14.
7- أحمد بن نعمان،هذه هي الثقافة،شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1993م، ص20.
8- محي الدين صابر،قضايا الثقافة العربية المعاصرة،الدار العربية للكتاب، طرابلس-تونس، 1983م، ص9.
9- محمد عماره،أزمة الفكر الإسلامي المعاصر،دار الشرق الأوسط للنشر، القاهرة 1990م،ص25.
10- حاتم بن النعمان، العولمة الثقافية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1999م، ص84.
11- ميلاد الهادي ابوراس،الفضاء الإفريقي والعولمة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، أكاديمية الدراسات العليا ،طرابلس،2009م،ص44. (نقلا عنه)
12- نبيل العربي،الثقافة العربية وعصر المعلومات،مطابع السياسة، الكويت، 2000م، ص128.

13- مولود الطبيب، العولمة والتماسك المجتمعي في الوطن العربي،مرجع سابق، ص31.
14- عمر الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص48.
15- رجب أبو دبوس، ثأر اجتماعي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 2001م، ص9.
16- محمد بن زغوان، الغزو الثقافي مظاهره مقاومته،مركز الدراسات، طرابلس، 1999م، ص16.
17- جمعه الأحول،مرجع سابق، ص7.
18- هويدا علي،العولمة والهوية الثقافية في أفريقيا، مجلة ودراسات،مركز الدراسات، طرابلس، 2002م، ص66.
19- المرجع السابق، ص66.(نقلا عنه)
20- برهان عليون، مجتمع النخبة، معهد الإنماء العربي،بيروت، 1996م، ص312.
21- محمد عابد الجابري، (العولمة والهوية الثقافية)،العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1998م،ص 297.
22- عبد الاله بلقزيز، (عولمة الثقافية أم ثقافة العولمة)، المرجع السابق،ص 309.
23- أحمد بن النعمان، هذه هي الثقافة، مرجع سابق، ص94.
24- هويدا علي، العولمة والهوية الثقافية في أفريقيا، مرجع سابق، ص70.
25- المرجع السابق، ص19.
26- هويدا علي، العولمة والهوية الثقافية في أفريقيا،مرجع سابق، ص70.
27- ميلاد الهادي ابوراس، الفضاء الإفريقي والعولمة، مرجع سابق، ص 45، نقلا عنه.
28- مولود الطبيب، العولمة والتماسك المجتمعي في الوطن العربي، مرجع سابق ،ص135.

29- ميلاد الهادي ابوراس، الفضاء الإفريقي والعولمة، مرجع سابق، ص48. ، نقلا عنه.
30- إسماعيل الحاج موسى، الغزو الثقافي أساليبه وكيفية مقاومته،أزمة المجتمع الدولي على أعتاب القرن الواحد والعشرين، منشورات مركز الدراسات، طرابلس، 2001م،ص 23.
31- حسين كامل بهاء الدين، الوطنية في علم بلا هوية ، تحديات العولمة ،دار المعارف القاهرة، 2000 م،ص89.

* * * * * * * * * * * * * * *